الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحيى فارس المدية
معهد اللغات و علوم الاتصال



مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس

العنوان:

أبعاد الرمز الديني التاريخي عند مفدي زكريا
إلياذة الجزائر أنموذجا

بإشراف الأستاذ:

جمال عصام

إعداد الطالبتين:

فاطمة بن حاج الطاهر
حفيظة طوير

دفعة 2009

دعاء



يارب لاتدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا نصاب باليأس إذا فشلنا بل ذكرنا دائما بأن الفشل هو أساس النجاح وعلمنا أن التسامح هو أكبر مراتب القوة وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف. يارب إن جردتنا من المال فاترك لنا نعمة الأهل و إن جردتنا من الأهل فاترك لنا قوة الصبر وان جردتنا من نعمة الصحة فاترك لنا نعمة الإيمان يارب إن أسأنا إلى الناس أعطنا شجاعة الاعتذار وان أساء لنا الناس أعطنا شجاعة العفو.يارب إن نسيناك فلا تنسـاـــــــــــــــــــــــــــــــــــانا

تشكرات

الحمد لله والشكر لله الذي أنزل علينا الكتاب وأنار به دروبنا وعلمنا ما لم نعلم وسدد خطانا في طلبنا للعلم.

وسهل أمورنا وابلغنا هذا المبلغ منه، ونسأله المزيد ما يجعلنا نخدم به إسلامنا وأمتنا.

الشكر لأستاذنا المحترم "عصام"على كل ما قدمه لنا من معلومات وإرشادات وحتى طول الصبر.

كما أتقدم بالشكر إلى السيد عبد اللطيف والسيدة أمينة اللذين ساعدانا كثيرا في انجاز مذكرتنا، ولا ننسى كل أساتذة معهد الأدب بالمدية على مساعدتهم حتى بكلمة التشجيع التي أعطتنا الدفع والمثابرة.

وشكرنا إلى كل من علمنا حرفا في مشوار حياتنا العلمية

إلى كل هؤلاء كل عبارات الشكر والاحترام.

إهداء

إلى المولى الذي أعانني وفتح لي أبواب العلم والمعرفة
إلى القلب المتدفق حبا وحنانا إلى رمز العطاء و الأمل إلى ريحانة
الدنيا وبهجتها أمي الغالية أطال الله عمرها وحفظها لنا.
إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جنانه الذي رباني وبذل
جهده لتعليمي
وهكذا شاء القدر أن نفارقه في عز شبابنا، والى العائلة الكريمة مليكة، عبد
القادر مصطفى، محمد ، هالة، هودة، نوال، كلثوم، والى جدتي وأخوالي وأعمامي
علي، أمحمد، المختار، والى طيور الجنة بشرى، مروة، حميد، كوثر،رتاج، اكرام
صلاح والى من تقاسمت معي هذا العمل بلحاج الطاهر فطيمة.
و إلى الأستاذ المشرف الذي أرشدني إلى هذا العمل عصام جمال.
وخاصة إلى صديقاتي المخلصات الوفيات كثيرا نجوى، شريفة، فتيحة، فضيلة،
نصيرة، كلثوم، رباب، صوريا،،فطيمة، أحلام، رقية صابور،ربيعة، جميلة،فايزة،دليلة،
خديجة،رشيدة،باية.
و إلى بنات عمي الغاليات غنية، أمينة،ربيعة، مريم، هجيرة، جميلة.
و إلى كل من ساعد في هذا البحث من أساتذة وأصدقاء وخاصة السيدة أمينة
والزوبير وعبد اللطيف والأستاذ هشام وخالدي والأستاذ سليم حيولة والأستاذ
خليفاتي .
و إلى كل طلبة السنة الرابعة أدب عربي بالمدية.
و إلى كل الأصدقاء وكل من يعرف حفيظة طوير.
وخاصة إلى أخي العزيز الذي ساعدني ماديا "محمد" حفظه الله.

حفيظة طوير

إهداء

إلى من وسعتهما رحمة الله "والدي الكريمين" ولم يسمح لي القدر بأم اشكرهما، ومتى يستأذننا القدر ويسمح لنا؟!

إلى أجزائي اللذين لا أستطيع العيش بدونهم أخوتي الأعزاء محمد، إسماعيل، فلة وزوجها إسماعيل،سهام.

إلى من ثبتتا في قلبي روح الأمل وعلمتان معنى العمل وغرستا في قلبي مثل الإنسانية جدتاي الحبيبتين"غنية وخيرة".

إلى عماتي زهرة، بختة، فتيحة وأولادهم.

إلى أعمامي محمد،عبد القادر، قويدر و زوجاتهن.

إلى خالاتي أمينة،خديجة، رقيةوأزواجهم.

إلى طيور الجنة أكرم، آية، دعاء،خيرة، عبدالوهاب، دنيا، عبدالله،نافع،عبد الغني،مروة.

إلى من ساندني وساعدني في مشوار حياتي الدراسية الغالي "عبد اللطيف".

إلى الأستاذ الذي أشرف على مذكرتنا عصام جمال.

إلى من تقاسمت معي هذا العمل طوير حفيظة.

إلى رفيقة دربي وأعز صديقاتي " كلثوم".

إلى صديقاتي نجوة، صورية، رباب،زوليخة، رتيبة،ريحانة،أمال،ربيعة، سهام.إلى قسم اللغة العربية بالمدية، إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

فطيمة بلحاج الطاهر

خطــة البحــث

مقدمة عامة

❖ **الفصل الأول** : **مفدي زكريا شاعر الرمز والدين**

➢ **المبحث الأول:** مولده ونشأته.

➢ **المبحث الثاني:** عوامل نبوغه

➢ **المبحث الثالث:**

✓ **المطلب الأول:** أبدية التحدي عند مفدي زكريا .

✓ **المطلب الثاني:** أهم آثارو مذكرات مفدي زكريا

❖ **الفصل الثاني** : **الرمز الديني عند مفدي زكريا**

➢ **المبحث الأول**

✓ **المطلب الأول:** ماهية الرمز لغة.

✓ **المطلب الثاني:** ماهية الرمز اصطلاحا.

➢ **المبحث الثاني:**

✓ **المطلب الأول:** مفهوم الأسطورة عند مفدي زكريا .

✓ **المطلب الثاني:** تجلي أنماط العالي النصي في مدونة إلياذة الجزائر.

- **المبحث الثالث:**

  - **المطلب الأول:** هواية الإلياذة
  - **المطلب الثاني:** توظيف الرموز الدينية في نماذج لمفدي زكريا
  - **المطلب الثالث:** التناص الديني عند مفدي زكريا

    أ-من القرآن الكريم

    ب-من الحديث النبوي الشريف

- **الفصل الثالث: التحليل الدلالي لإلياذة الجزائر**

- **المبحث الأول:**

  - **المطلب الأول:** فضاء الإلياذة
  - **المطلب الثاني:** زمن الإلياذة
  - **المطلب الثالث: اللازمة**

- **المبحث الثاني:**

  - **المطلب الأول:** مضمون إلياذة الجزائر عند مفدي زكريا
  - **المطلب الثاني:** تحليل بعض المقاطع تحليلا دلاليا من الإلياذة

- **الخاتمـــــة** .



همـــمـــس القلـــوب

حين تحترق صفحات العمر تكبر الإهانة، وتموت كلمات الحب غرقا في بحر اللإعتراف، وينتحر الحوار كمدا من الهجران عبثا يحاول كسر روتين الفساد، وطمس هوية الانحلال ولكن دون استجابة

استجابـــة

من نكران الى اجحاف وعدم انصاف

لكن تأبى كلماته الا أن تفجر معانات شعبه، ويقسم أن تكون دماؤه حبر أقلام لتخلط اسطورة أشعاره ويتنازل عن كل فراش ليكون السجن مقامه.

مقامـــــه

هو رجل يدخل خلسة في أبياته ليقبل عشيقته الجزائر، ويعانق جنباته التي فارقها مرغما، فيشعل أفكاره بالذكرى ويمضي.

هو الذي آمن بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وبالكعبة قبلة وبالجزائر وطنا وبشمال افريقيا جزءا لايتجزء.

مفدي زكريا

ننحني أمامه إجلالا وفخرا وسموا أنه ابن بلدنا البار، فألف شكر وتقدير لك يا شهيد الكلمة وسفير الجزائر وشاعر ثورتنا.

مقدمة عامة :

إن ظهور حركة الانتعاش الفكري في أواخر القرن 19 وأوائل العشرين في ظل مناخ سياسي جديد أدى بالجزائر إلى الانفتاح على العالم الخارجي عربيا وإسلاميا وأوربيا، فتولد عن ذلك تنامي الحس الوطني بين الجزائريين، فاتسعت الصلة بين الشرق والغرب عبر روافد مختلفة كالصحافة والهجرة إلى فرنسا والمغرب.

وفي ظل هذه الظروف ظهر جيل من المصلحين والأدباء والشعراء، حاملين لواء أفكار إصلاحية مغير لسابقيهم، فظهر صراع فكري قائم على العربية والإسلام من جهة ومن بين سياسة الاستعمار والفكر الموالي من جهة أخرى، وتغلب على الحركة الإصلاحية الطابع الرمزي الديني، ومن بين هذا الجيل الشاعر العظيم *مفدي زكريا* الذي يختلف عن غيره من الشعراء بمنهجه العلمي وآرائه الضاربة في العقلانية والسمو.

إذ يقوم شعره على الدين والرمز وعلى حب الوطن والحرية ولهذا يعتبر من الشعراء القلائل الذين عرفتهم البشرية، فهو بحق سفير الجزائريين بمعنى الكلمة ولذلك نجد شعره وخاصة إلياذته قد تجاوزت حدود الوطن الجزائري إلى العالم الإسلامي والغربي والأوربي.

ورغم البحوث والدراسات السابقة حول هذه الشخصية البارزة، إلا أننا تطرقنا إلى دراسة جانب مهم ومثير لم يحظى بدراسة كافية وملمة من طرف الباحثين في هذا المجال.

أما عن أسباب اختيارنا للموضوع هو الاهتمام بالأدب العربي، الذي لم يحظى باهتمام كبير من طرف الطلبة، وإظهار الجانب الديني من خلال بعض منجزات هذا الشاعر الفذ، ورد الاعتبار لهذا الفتى الوطني الذي خلد الثورة وخلد الجزائر وقدسها ولو بشيء قليل بالاعتماد على أهم منتجاته، وتلقينا صعوبات أثناء انجازنا لهذا البحث، تتمثل في قصر الوقت بسبب التنقل للبحث عن المراجع وكذا محاولة التوفيق بين الدراسة والبحث، قلة المراجع في الجانب التطبيقي.

- ما هو الرمز الديني وأبدية التحدي عند *مفدي زكريا* ؟
- ما هي وظيفة الرمز الديني وإلياذته باعتباره عنصر تأثير؟
- كيف وظف *مفدي زكريا* الرموز الدينية في إلياذته؟

ولقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في ثلاثة فصول ، في الفصل الأول تطرقنا إلى حياة *مفدي زكريا* ومراحل نبوغه وأبدية التحدي واهم أثاره، أما في الفصل الثاني فتناولنا مفهوم الرمز لغة واصطلاحا عند بعض العلماء كما تطرقنا إلى هوية الإلياذة وكيف وظف الأسطورة والرمز في شعره وبعض النماذج التي وظف فيها الرمز الديني من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، أما الفصل الثالث الذي كان فصلا تطبيقيان تطرقنا من خلاله إلى فضاء الإلياذة وزمنها وأيضا الرمز الدلالي الديني من خلال الإلياذة وهذا باعتمادنا على منهج وصفي تحليلي (تكاملي).

واهم الصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث هي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والإلياذة والمراجع فاعتمدنا على مفدي زكريا شاعر مجد الثورة للمؤلف *بلقاسم بن عبد الله* وكذا كلمات *لمفدي زكريا* في ذاكرة الصحافة الوطنية، وما لفت انتباهنا وإعجابنا هو الدكتور محمد ناصر في كتابه *مفدي زكريا* شاعر النضال والثورة، فقد كان صديقا حميميا للشاعر، لذلك اهتم بحياة *مفدي* وأعماله بشيء كبير وبدقة كبيرة، ويعتبر أول مؤلف اهتم بالشاعر الفذ.

أما عن أهداف البحث فهي التعريف بالشخصية الوطنية للشاعر الفذ، وإبراز أهم المعالم الأدبية الفنية الثقافية والتاريخية الدينية للشخصية الجزائرية"الشعب الجزائري"

لقد تناولنا جانب من جوانب دراسات *مفدي* هو جانب الرمز الديني، وهناك جوانب أخرى تاريخية وسياسية نتمنى أن تحظى بعناية من طرف المقبلين عليه.

تمــــهيــــــــــد:

سنقف في هذا الفصل عند هذا الرجل العظيم،لم يكتب لشاعر جزائري أن ملأ الدنيا و شغل الناس مثل *مفدي زكريا* ، حياته حافلة بالنضال و الأعمال، و تجربته متميزة في الصحافة و أدبه غزير و متنوع، و إن ظل جله مغمورا مطموسا بين ثنايا رحلة من الزمن و سنحاول هنا أن نتوقف قليلا عند نشأة و أبرز مراحل و محطات حياة هذا الشاعر الوطني الجزائري الإسلامي بالاعتماد على الحوارات التي أجراها الدكتور *بلقاسم بن عبد الله* معه خلال سنتي 1972 و 1975 و كذلك الدراسات التي كتبها الأديب الباحث الدكتور *محمد ناصر*.

➢ المبحث الأول: مولده ونشأته

اسمه الحقيقي "*زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ الحاج صالح سليمان* و لقبه *الشيخ أو آل الشيخ*، وعن حياة جده *الحاج سليمان* ، و لهذا لقبت العائلة لقب آل الشيخ ، فقد كان أحد شيوخ مدينة بني يزقن، يترأس الإتحاد الميزابي، ففي حضن هذه العائلة الماجدة *زكرياء*، اشتهر باسمه المعروف *مفدي زكريا* ".[1]

"وهناك أسماء مستعارة ، الفتى الوطني، *أبو فراس الحمداني* ، *ابن تومرت* ، غير أن اسمه الحقيقي هو الشيخ *زكرياء بن سليمان* ، و لقبه أحد زملاء البعثة الميزابية التعليمية *لمفدي* فأصبح يعرف *بمفدي زكريا* ، وقد ولد يوم 12 جوان 1908، الموافق ليوم الجمعة 12 جمادي الأول 1326 هـ ببلدية بني يزقن بمنطقة بني ميزاب أو ما يعرف حاليا بولاية غرداية".[2]

"وهناك تابع دروسه الأولى، أدخله والده الكتاب ، حيث حفظ جزء من القرآن الكريم و مبادئ اللغة العربية و الفقه، ثم انتقل إلى مدينة عنابة لمساعدة واله في تجارته و لمواصلة تعليمه، و في سنة 1922 توجه إلى تونس ضمن البعثة التعليمية الميزابية، ليتابع دراسته بكل من مدرسة السلام القرآنية مدة سنتين،نال خلالهما شهادة ابتدائية في اللغة العربية، ومبادئ في اللغة الفرنسية، ثم انتقل إلى الخلدونية، حيث درس مواد علمية كالحساب و الجبر و الهندسة و الجغرافيا".[3]

وفي فترة تحوله إلى جامع الزيتونة ، إنكب على الدرس و التحصيل و المطالعة المستمرة و حضور مسامرات الأديب التونسي العربي *الكبادي* ، و ارتبط بصداقة حميمة متينة، مع الشاعر الجزائري *رمضان* حمود ، و كذلك مع الشاعر التونسي المعروف *أبو القاسم الشابي* و نظرا لذكائه و نجابته و شاعريته و لطف إحساسه لقبه أستاذه *الحطاب بوشناق* لقب *مفدي*.[4]

---

[1] بليحيا الطاهر- تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1989.ص38

[2] بلقاسم بن عبد الله- مفدي زكريا شاعر مجد الثورة- حوارات و ذكريات ط3 الجزائر 2003. ص13

[3] محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة-"دراسة و نصوص" ط 2 نشر جمعية التراث"العطف" غرداية.الجزائر ت"ص.ص (8-9)

[4] ينظر- بلقاسم بن عبد الله- مفدي زكريا شاعر مجد الثورة. ص.ص (14-15)

أعجب *زكريا* بهذا الاسم لأنه وجد فيه ما يرضي طموحه الأدبي و الوطني، تعبيرا عن ذلك في مطلع نشيد حزب الشعب" فداء الجزائر روحي و مالي" و في قوله سنة 1935 "وطني بروحي أفديتك و مهجتي و دمي الشريف مبرة ووفاء"، وبعد ذلك أصبح *مفدي* يكتب الشعر معتمدا على مواهبه و ميوله و جده و اجتهاده[1] و في هذا الصدد يقول:

"و أما الشعر فأنا فيه أستاذ نفسي،غير أني أعرض بضاعتي أساتذتي رؤساء البعثة الميزابية الزحافات و العلل و الدوائر و لي اطلاع شخصي على العروض و الموازين، و لقد شفعت حبا بالآداب طفلان و بتاريخ الأبطال من عظماء الأوطان". [2]

إن السنوات الدراسية الخمسة التي قضاها بتونس(1922-1926) هي التي كونته هذا التكوين الأصيل، ووجهت حياته هذا التوجيه الأدبي و السياسيي ن بعد ذالك قد تجمع التكوين في عدة عوامل.

---

[1] ينظر- بلقاسم بن عبد الله- مفدي زكريا شاعر مجد الثورة. ص.ص (14-15)

[2] محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة. ص 10

➢ المبحث الثاني: عوامل نبوغه

هناك عدة عوامل ساعدت في تكوين شاعرنا من الناحية الأدبية و السياسية و الثقافية و أدراجها في ثلاث عوامل مهمة كالتالي:

- **العامل الأول:**

هو جو البعثة، فان النشأة العربية الإسلامية الأصيلة التي نشأها، قد تركت في نفسه بعد الآثار، و أوقعت في أعماقه حب الإسلام و العربية و الوطن و كره من يحاول المس بهذه المقدسات أيا كان لاسيما وأن أولائك المشايخ، كانو ا يقدمون النموذج العملي لتلامذتهم، فقد كانو ا جميعهم أعضاء مناضلين منخرطين في صفوف الحزب الحر الدستوري، تحت زعامة الشيخ *عبد العزيز الثعالبي*".[1]

ونظرا لاهتمام *مفدي* و فطنته لما يدور من حوله و ذلك من خلال مشاهدته لأعمال الزعماء الكبار من أمثال *الثعالبي* و *البارودي* و *الرياحي*، و هم يفدون على دار البعثة و سيتقبلهم الطلبة بحفاوة و يجلسون إليهم في محاضرات أو ندوات تدور كلها حول ترسيخ معاني الاعتزاز بالدين والشخصية و العمل على تحرير الوطن من أعدائه و في هذا يقول:
" درست على هؤلاء دروسا دينية و أخرى في الوطنية و التضحية في سبيل الوطن العزيز و الأمة المجيدة".[2]

و في هذه الفقرة نلاحظ تأثر *مفدي* بزعماء و مشايخ البعثة العلمية و أصبح في هذه الأثناء يقرأ المجلات و الصحف الواردة من المشرق العربي، بحيث اشترك هو و زميله *حمود رمضان* في مناقشة محتوياتها، كما كان يشرف على مجلة الوفاق، التي كان يتخذها الطلبة بالبعثة مجالا للتنافس و تدريب الأقلام وبعث المواهب الشابة الصاعدة و في هذه المرحلة ترك *مفدي* إنتاجا غزيرا شعرا و نثرا، يمثل مرحلة الطفولة الأدبية أحسن تمثيل.

---

[1] ينظر- محمد ناصر- مفدي زكرياشاعر النضال و الثورة. ص11

[2] المرجع السابق- ص16

- **العامل الثاني:**

" يعتبر الشيخ *صالح بن يحيى* هو عمه المعلم الأول و المدرس *لمفدي زكريا* و كذلك صديق عمه الزعيم *الثعالبي*، أما عمه فهو أحد الأقطاب الثلاثة، الذين أسسو ا الحزب الحر الدستوري التونسي

وغذوا الحرب الطرابلسية بالأموال المتجمعة من تونس و الجزائر خاصة، بل أن الشيخ *صالح* قدم

للحزب ما يملكه من مال و حماسة و تعاطفا و اعتقل من أجل نشاطه الوطني مع زميله *عبد العزيز الثعالبي* و *محمد الرياحي*".[1]

ومن هنا فان النشأة الوطنية و الثقافية التي نشأها *زكريا*، في بيت عمه منذ نعومة أظافره، و تلقيه مبادئها عن الزعيم الثعالبي، الذي كان لا يفارق بيتهم ساعدته في تكوين حياته، حيث أن *مفدي* ظل يحفظ توجيهاته ووصاياه، و كان يرددها في مناسبات عديدة ، ومن ذلك قول *الثعالبي* المشهورة:

"كفانا أن يحتفظ من ماضينا بالدين و الأخلاق، و ما عداها فإلى الدمار إلى البوار".[2]

و قد عبر *مفدي زكريا* باعتزاز شديد عن تتلمذه لهذا الزعيم الوطني، ودلالة الاعتزاز يوم استقبله بقصيدته الرائعة بمناسبة عودته من المنفى سنة 1937، بعد غياب دام خمسة عشر سنة، مبايعا إياه

بالزعامة، معاهدا على المضي قدما في النضال و المقاومة و في هذا الصدد يقول:[3]

يا زعيم الشمال و الشـــــرق	يا من ملأ الشرق و الشمال جهودا
إن شعب الجزائر اليوم قد جاء	يهنئ لواءك المعقـــــــــــــودا
و يهنيك باسمه حزب شعــب	في المبادئ فقد كان منك و ليـــدا
فهو من روحك العظيمة جزء	فتقبل من بعضك التمــــــــجيدا

- **العامل الثالث:**

" هو الجو الوطني الحار الذي كانت تعيشه تونس في العشرينيات و لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، فقد عرفت هذه الفترة بطابع المجابهة، ف ن القوى الوطنية و سلطات الاستعمار إضافة إلى الأجواء الثقافية المتفتحة على الروافد الشرقية، فمن المعروف أن الرقابة على هذه الروافد في تونس، كانت أول استحكاما منها في الجزائر". [1]

إن هذه العوامل مجتمعة أظفرت على نشأة الشاعر نشأة وطنية، و أثرت فيه تأثيرا قويا حين واجهته هذه الوجهة، شعره منذ 1925 يلحظ كيف أن حياته الأدبية اتصلت اتصالا جذريا بنشاطه السياسي الوطني". [2]

و منه فان مكوث *مفدي* في تونس ، و استفادته علما و تجربة من جوها السياسي سنة 1926، ساعدته في تكوينه و تطوير أدبه و شعره، و مهما يكن من أمر فان *زكريا* بعد رجوعه من تونس، لم يتسلم وظيفة عملية، فيلتحق بمدرسة حرة أو ينشئ صحيفة عربية كما كان نشأة العديد من المتخرجين من تونس.

إن الظروف القاسية التي كان *مفدي* يعاني منها في شبابه، فقد عرف مرارة الكدح في سبيل لقمة العيش لقي في سبيلها الإرهاق و التعب لم تسمح له بالعمل في مجال دراسته، فقد عمل أجيرا بسيطا في محلات تجارية متعددة، في كل من قسنطينة و الجزائر، و فتح في الأربعينيات محلا لبيع القماش سماه "دار السلام" في نهج بوتان، ثم انتقل بعده إلى محل آخر في نهج بودون. [3]

---

[1] بلحيا الطاهر- تأملات في إلياذة الجزائر. ص12

[2] ينظر- محمد ناصر- مفدي زكريا- شاعر النضال و الثورة.ص12

[3] ينظر-المرجع نفسه

" والذي يبدو من خلال تطورات حياته و الأعمال التي تغلب فيها، انه لم يستطع الابتعاد عن ميدان السياسة و الثقافة و الشعر و الفن، و ما إليها لحظة واحدة ، و لعل هذا كان من أهم الأسباب في عدم نجاحه في الميدان التجاري الذي امتهنه طوال حياته، بالرغم من اشتغال *مفدي* بأعماله التجارية، لم تشغله قط عن المشاركة في الحياة السياسية التي عرفتها الجزائر و لاسيما بعد الاحتفالات الاستعمارية". [4]

"و في سنة 1933 أسس بالعاصمة هو و جماعة من التجار، جمعية الوفاق التي أصدرت جريدة باسم الحياة، و كان *مفدي* رئيس تحريرها، و تعد هذه الجريدة وثيقة هامة لمعرفة اتجاهات *مفدي* و اهتماماته، في هذه المرحلة المبكرة، كما أنه لم يتخل قط عن الإنتاج الأدبي، الذي كان يشارك فيه.

---

[1] محمد ناصر- مفدي زكريا- شاعر النضال و الثورة.ص13

[2] ينظر-محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة. ص14

[3] ينظر-المرجع نفسه

[4] بلقاسم بن عبد الله- مفدي زكريا شاعر مجد الثورة.ص17

في إثراء الحياة الثقافية".[1]

في هذه المرحلة كان *مفدي* من المتحمسين للحركة الإصلاحية يؤديها بشعره و مقالاته يقف مناهضا لكل الحركات المضادة للاتجاهات الوطنية، لقد شارك في الحملات التي عرفتها في بداية الثلاثينات، ضد معارضي الحركة الإصلاحية، و لم ينظم *مفدي* إلى جمعية العلماء المسلمين و بهذا الصدد وجهت له عدة أسئلة حول هذا الشأن فرد عليهم *مفدي* بهذه المقولة:"إن *مفدي* لم ينظم إلى جمعية العلماء لأنه كان ضد أهدافها، بل لأنه لم يكن مقتنعا بمنهج الجمعية المعتمد على سياسة مرنة في محاورة الاستعمار الفرنسي إذ من المعروف أن الجمعية في قانونها الأساسي تصرح بأنها جمعية ديشة، لا علاقة لها بالسياسة".[2]

معناه أن *مفدي* لا يرفض الانتماء إلى جمعية علماء المسلمين، و إنما يرفض بعض من قراراتها وهذا لا يرضي طموحه الوطني، الذي كان لا يؤمن بغير المواجهة الصريحة بالرغم من عدم انضمامه إلى الجمعية، إلى أنه كان معجبا شديد الإعجاب بأعمالها التربوية و الدينية و الثقافية

و عبر عن الإعجاب من خلال مقالاته و مراسلاته و خلد أعمالها بقصائده الرائعة.

وعلى الرغم من الحفوة التي عرفتها أحداث المؤتمر الإسلامي في سنة [1936-1937] بين جمعية العلماء و حزب الشعب، فان *مفدي* يكن للجمعية و رجالاتها التقدير و الإجلال الكبيرين".[3]

"وما إن أتيحت له فرصة اللقاء بالأنظمة إلى صفوفها بعمل و حماسة و حرارة،فوجد في بداية نضاله السياسي من خلال خطبه و قصائده ومناقشاته، و كان يهدف إلى ربط الصلة و التوحيد مع الأشقاء التونسيين و المغاربة و قد دفعته حماسته و إيمانه بهذه المبادئ".[4]

---

[1] محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة.ص16

[2] ينظر- المرجع نفسه

[3] ينظر- المرجع نفسه

[4] بلقاسم بن عبد الله- مفدي زكريا شاعر مجد الثورة. ص20

و لقد اقترح *مفدي* على الطلبة في مؤتمرهم الرابع المنعقد بتونس سنة 1934 ما يسميه عقيدة التوحيد، و تحتوي هذه الوثيقة على عشرة بنود، تدعوا كل طالب منخرط في اتحاد طلاب شمال إفريقيا، إلى القسم بأن يعتنق تلك المبادئ و يؤمن بها، كما يعتنق الإسلام عقيدة و دنيا.

" كل مسلم بشمال إفريقيا يؤمن بالله و رسوله ووحدة شماله، هو أخي قسيم روحي، فلا فرق بين تونسي و جزائري و مغربي، و لا بين مالكي و حنفي و شافعي و اباضي، و حنبلي و لا بين عربي و قبائلي و لا بين مدني و قروي، بل كلهم إخواني، ماداموا يعملون لله و للوطن..."[1]

لقد كانت قصائد *مفدي زكريا* في تلك المؤتمرات قوية في هذا الاتجاه الذي كان فيه رائدا بحق، كان يدعو إلى الثورة و الدفاع عن الوطن والروح البشرية و هناك بعض القصائد التي ألقاها رائدنا في مؤتمر العاصمة سنة 1932م:

نهوضا بني إفريقيا من سباتكم	فـــان عيون الحادثات بمرصـــاد
تناديكم الأجداد من رمم الثرى	فلبوا إلى العلياء دعوة أجــــداد
كفانا شقاء من وباء شقاقنـــا	و تمزيق مجموع و تشتيت أفـراد
فهل نحن إلا أمة عربيــــة	شقيقة أرواح قسيمة أكبـــــاد
وهل نحن إلا أمة أحمديـــة	مقدسة غرا، سليلة أمجـــــاد[2]

ويلح أيضا على وحدة المغرب العربي في مؤتمر تلمسان سنة 1935 بمثل قوله:

إن الجزائر في الغرام و تونسا	و المغرب الأقصى خلقن ســواء
نحن العروبة و الشمال بلادنا	و به نعيش أعز كرمـــــــاء
أرض مطهرة تضم ضلوعها	مهجا هناك زكية و دمــــــاء
بدم الصحابة في تعطر ظهرها	قدما و أوى بطنها الشهــــداء[3]

"سافر إلى تونس مرارا على رأس وفد من حزب نجم الشمال الإفريقي، من أجل مهام سياسية تهدف جميعا إلى توحيد العمل السياسي، في ظل خطة موحدة، كما جاء ذلك في قصيدته التي تعد من عيون شعره، و أطلق عليها البردة الوطنية سنة 1937". [4]

---

[1] محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة.ص20
[2] المرجع نفسه
[3] المرجع نفسه.ص21
[4] المرجع نفسه.ص 25

و في هذه الفترة أصبح *مفدي* عضوا مسؤولا في حزب النجم، وتقلد مهاما سياسية، فاختير سنة 1936 رئيسا للجنة التنفيذية، و كان شعره سلاحا فعالا في مجال الإعلام و الدعاية للحزب، ومن أبرز أعماله في هذا الصدد نشيده الذي نظمه للإشادة بسياسة الحزب و الدعوة جهرا إلى استقلال الجزائر.

توالى نشاط *مفدي* في صفوف النجم و كانت عيون الاستعمار تزداد له مراقبة و متابعة.[1]

و في يوم 12 ديسمبر 1936 ندبه حزب النجم هو و السيد *الأحول حسين* ليلقيا محاضرتين بمدينة البليدة إحياء لليالي رمضان، و كان موضوع محاضرة *مفدي* " الوطنية و الدين" و فجأة رفعت الإدارة الاستعمارية قضية بتهمة التآمر على أمن الدولة و الدعوة إلى الثورة و العصيان، و فجأة نشرت في الصحافة الجزائرية و التونسية احتجاجا ضد هذه التصرفات الجائرة".[2]

"وفي مارس 1937 تأسس حزب الشعب، خلفا لحزب الشعب الذي سبق أن حلته السلطة الاستعمارية ففي جانفي من سنة 1937 هي نقطة الضغط العالية التي وصلها الوطنيون،في مواجهتهم للاستعمار الفرنسي، و بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري الثاني وما نجم عنه من مواجهة علنية من طرف المنتمين لحزب الشعب ككل سياسات الدمج و الإلحاق".[3]

في هذه الفترة كان *مفدي* يواكب الأحداث عن طريق مقالاته الإنصافية التي نشر أغلبها بالصحف الوطنية التونسية، مثل الزهرة و النهضة و تونس و الشباب، و كلن يحلل تحليلا دقيقا لكل الأحداث التي تمحص عنها المؤتمر الإسلامي.

لقد كان *مفدي* و بعض المتحمسين من حزب الشعب لا يعبرون عن انتمائهم الوطني من خلال ما يكتبونه أو يقولونه فحسب، و إنما كانو ا يعبرون عن ذلك بلباسهم الذي يرمز إلى العلم الجزائري بألوانه الزاهية فكانوا يلبسون عباءة خضراء و قميصا ابيضا و طربوشا أخضر ورابطة عنق حمراء طرز بها هلال و نجمة.[4]

---

[1] ينظر- محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة. ص 30

[2] المرجع نفسه

[3] المرجع نفسه.ص31

[4] بلقاسم بن عبد الله - مفدي زكريا شاعر مجد الثورة.ص22

و كما هو معروف أن هذه الشكل في يومنا هذا و في منظورنا اليوم شكلية لا معنى لها وترأس مفدي في هذه الفترة تحرير جريدة الشعب ومن بعد إلى العدد الأول، وقد حرر أغلب مواده، كان يدرك بحق كيف يبدع نثرا كما يبدع شعرا و تعتبر تلك المقالات من أسباب سجنه.[1]

"وفور مظاهر 14 جويلية بيومين ألقت السلطات الاستعمارية، القبض على رئيس حزب الشعب
مصالي الحاج و على رئيس اللجنة التنفيذية *مفدي زكريا*، وهو في سجنه كان يكتب المقالات السياسية و الثورية و يرسل بها خفية لنشرها بالصحف التونسية موقعة باسمه المستعار *أبو فراس المحمداني*".[2]

"وفي زنزانته رقم 65 في سجن بربروس بتاريخ 29 نوفمبر 1937، نظم نشيده الثوري المعروف"اعصفي يا رياح" وكان المساجين ينشدون أمام الزنازن هذا النشيد الذي أصبح بعد اندلاع الثورة التحريرية شهادة يرددها الأبطال حين يرتقون بسلم الاستشهاد، و بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية أفرج عن مفدي، و بعد حوادث ماي 1945 و في حملة الاعتقالات التي شملت الوطنيين رج به في السجن لمدة ثلاث أشهر.[3]

وعندما تأسست حركة الانتصار الحريات الديمقراطية، انضم إلى صفوفها وما لب ث في 1949 أن دخل إلى السجن لمدة شهرين، و عرف مفدي في الفترة مابين [1940-1955] حياة الفلاكة سماها هو بنفسه و اختلط *بالجوالقي*، فتعرف بعميد المسرح الجزائري *محي الدين بشطارزي* و الممثل القدير محمد *الثوري*.[4]

---

[1] ينظر- محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة.ص32

[2] بلحيا الطاهر- تأملات في إلياذة الجزائر.ص15

[3] محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال والثورة.ص 33

[4] ينظر- بلقاسم بن عبد الله - مفدي زكريا شاعر مجد الثورة .ص23

"انغمس في قمة رأسه في أجواء الفن و الطرب و ما يشيع فيها من لهو وسهـ ـر، و في سنة 1955 التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني، مناضلا في خلايا الحزب بالعاصمة، وكانت داره بالقبة مقرا لاجتماعات المناضلين، وأهم عمل قام به في هذه الآونة هو نظمه لنشيد الثورة الجزائرية الخالدة"قسما بالنازلات الماحقات" و في ليلة واحدة تفجر هذا النشيد، الذي يحمل في طياته تاريخ أفضل جهاد، في سبيل العقيد و والوطن.[1]
وفي يوم 19 أفريل 1956 و الثورة مشتعلة، ألقي القبض على *مفدي زكريا* بداره بالقبة مع مجموعة من زملائه المناضلين وأودع في سجن بربروس يوم 20 أفريل إلى غاية 28 جوان 1957 نقل بعده إلى سجن الحراش، حيث ظل إلى 19 ديسمبر 1959 ثم انتقل إلى سجن البرواقية، إلى أن صدر بحقه بالسجن 3 سنوات و بغرامة مالية قدرها 360000 فرنكا، مع مصادرة كل ما يملك من مال".[2]
هذه الفترة تمثل مرحلة الإبداع الفني لمفدي لأنه في هذه السجون، أبدع قصائده الثورية،لأن المعانات والمعايشة، هي التي تفجر الصدق الفني، وكان *مفدي* نفسه يعتز بتلك القصائد التي كتب بعضها بالدم.

أفرج عن *مفدي* في أول فيفري سنة 1959، وضلت أعين البوليس تطارده وتتابع خطواته إلى أن تمكن من الهرب إلى المغرب و لعدها إلى تونس لتلقي العلاج، لأنه خرج من السجن منهوك القوى، ضعيف البنية شيخه حادثتين اترافية بصورة خاصة،مشاهدته بعينه إعدام الشهيد احمد زبانا، و تأثره من عملية التعذيب التي كان يمارسها زبانية السجن.[3]

---

[1] ينظر- محمد الناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة. ص ص(33-35)

[2] ينظر- المرجع نفسه

[3] ينظر- المرجع نفسه

إن هذه الظروف القاسية لم تمنعه من المشاركة بشعره و نثره في صحيفة المجاهد و غيرها من الصحف التونسية و المشرقية وكانت جريدة الحياة اللبنانية تنشر إنتاجه و تعتز به و كان شعره الثوري يلقى بالنيابة عنه من إذاعة صوت العرب، وفي عام 1961 انتدبته الجبهة ليمثل الجزائر في مهرجان الشعر العربي.

"لقد كان هذا المهرجان، فرصة للشهرة في وسط المجتمعات العربية، فقد تعرف الشعراء العرب على شاعر الثورة عن قرب بعد أن قرؤوا أشعاره و أعجبوا بها، وزار في هذه الفترة القاهرة ودمشق و بيروت، واتصل بدعوات من العراق و السعودية و الأردن و إمارات الخليج العربي وسجل في هذه الأقطار أحاديث صحفية و مقابلات إذاعية و تلفزيونية وأمسيات شعرية، و قد حقق نجاحا إعلاميا رائعا مما جعل جريدة الصباح التونسية تقول "*مفدي* سفير الجزائر بلا أوراق".[1]

"وبعد الاستقلال عاد إلى أرض الوطن ة استقل بالعاصمة، فتح مكتبا بساحة الأمير عبد القادر للخدمات الإدارية، ورغم أن الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية لم تسعفه ليجد الاستقرار و الأمن اللذين طالما حلم بهما، رحل إلى تونس من 1963 إلى 1969 وجد من الإخوة التونسيين الحفاوة و الإكرام".[2]

حقيقة أن تونس قدمت *لمفدي زكريا* في جميع مراحل حياته النضالية و الثورية، بفضل صحافتها ونواديها وأدبها و مسؤوليتها، و قد قدموا له تكريما بمناسبة صدور ديوان اللهب المقدس، شاركت فيه شخصيات من المغرب و تونس و الجزائر، وبلدان عربية أخرى، و ألقيت فيه محاضرات وقصائد كثيرة تكريما للشاعر و الثورة الجزائرية، وكانت خاتمة الحفل، قصيدة ألقاها مفدي مطلعها"أمانا أيها الشعراء".[3]

---

[1] ينظر- محمد الناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة. ص 35

[2] ينظر- المرجع نفسه

[3] ينظر- المرجع نفسه

"وعام 1969 عاد إلى الجزائر و استقر بالدار البيضاء، وفتح ثانوية للتعليم،شارك بشعره ومناقشاته في جل ملتقيات الفكر الإسلامي، بدعوة من زميله مولود قاسم،و أعظم ما ختم به حياته الإبداعية الطويلة إليادته الشهيرة التي هي تمجيد حار لتاريخ الجزائر، عبر مراحله الحضارية الأصيلة، ذلك العمل الذي خلد الشاعر عن طريق تخليده لتاريخ أمته و نضالها".[1]

. وظل بطلنا وفيا لعقيدته الوحدوية بين أقطار المغرب العربي في آخر يوم من حياته، لم يزد تنكر بعض ذوي القربى الأوفياء لمبدئه، وشاءت الأقدار أن تكون رحلته لتوحيد الغرب العربي، فغادر الدار البيضاء على نية العودة ليلفظ آخر أنفاسه، وفجأة على ثرى تونس التي طالما آوته واحتضنته، وشاءت الأقدار أن تستقبل الجزائر جثمانه فتوفي بسكتة قلبية، ويدفنه أهله في مسقط رأسه، وكان ذلك يوم 3 رمضان 1997 الموافق لـ 17 أوت 1977، وهكذا ودعنا وودع الحياة، لكنه لم يغادر قلوبنا و تبقى ذكراه خالدة في أرواحنا، وتبقى ذكراه في قلب كل أبناء المغرب العربي الكبير.

---

(1) ينظر- محمد الناصر- مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة. ص 35

➢ المبحث الثالث:

✓ المطلب الأول: أبدية التحدي عند الشاعر مفدي زكريا

إن بطلنا يقف موقفا حاسما في تحديه لفرنسا بالعروبة و الإسلام، والتي يفتخر بها بالجزائر ويدعوا فيها عنوة بالجهاد و فداء الجزائر بالنفس و النفيس،و يثني عليها بالماضي و المج الزاهر الذي شهدته الجزائر، في مختلف الحقب التاريخية،فهو يعشق الجزائر التي تتمثل له في وجهها الإسلامي السمح و لسانها العربي البين، وكيانها المتضامن المتآلف"[1]

وتجد الشاعر يحذر الطلبة "رجال المستقبل" مما كان الاستعمار يحاول غرسهم في نفوسهم، وذلك بتوجيههم إلى ثقافته وصرفهم عن لغة القرآن و ثقافة الإسلام، فيقول غاضبا و بصراحة.

ربوا نفوسكم على خلق الهدى   إن شئتم حرية و عــــــــــلاء

و الدين إن الدين أعظــــــم   عدة فبدونه تعدوا الشعوب هباء

فالشاعر يعلق حرية أمانة الحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي، بجبين أبناء المغرب العربي، فنجده يذكرهم في هذه الرسالة في مؤتمرهم العام، المنعقد بالعاصمة سنة 1932 وذلك بقوله:

بني المشرق هلا اليوم نظرة راحم   إلى لغة أمست رهينة أحقــاد

ألا ترقبون الله فيها فإنــــــــــها   لسان كاتب من هدى الله وقاد

فهو يذكرهم بشرف ما وضع في أعناقهم من واجب الحفاظ على معتقداتهم، وأصولهم و خاصة لغتهم العربية، فنجد أن المخطط الرهيب الذي وضعه و أعده المستعمر، وذلك بمناسبة مرور مئة عام على احتلال الجزائر، فقد حشد كل إمكانياته المادية و المعنوية ليغزو الجزائر غزوا فكريا، ذلك بعد أن فشل في القضاء عليهم عن طريق غزوه لهم استيطانا"[2]

---

[1] ينظر- محمد عيسى و موسى- مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنية الجزائر 2003. ص ص (101-102)

[2] محمد عيسى و موسى- مفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية الجزائر 2003. ص 103

فمن أهم العناصر التي احتوت عليها قصائد مفدي زكريا، في هذه الفترة، تأكيده الدائم على أصالة الشعب الجزائري وانتمائه إلى عروبته وإسلامه،فهو مع اعتزازه الدائم بالشخصية الجزائرية، حريص كل الحرص عن مقاومته كل السياسات الفرنسية و المسخ و التذويب و الإدماج، التي كان يدعو إليها المستعمر الفرنسي.[1]

لقد كانت قصائد مفدي رد فعل صارخ و صريح على المشروع الإدماجي الفرنسي، الذي اغتر به بعض الجزائريين، ظنا منهم أن من ورائه الحصول على الحقائق السياسية، فما كان من الشاعر إلاّ أن فضح خطة المستعمر الفرنسية بمقالاته اللاذعة، وفي الصحافة الجزائرية فأنشد يقول:

أيها الشعب و الجزائر تشكو في ثنايا الطلوع داء عضال

وتنادي بنو العروبة وامعت صماه قد احكموا الاغتيال

سطروا حولها برامج للمسخ و خطوا على فناها الرحال

وقد نشر أيضا في العدد الأول من جريدة الشعب، التي كان رئيس تحريرها، تحت عنوان صرخة الشعب، مبدؤها في طريق الجهاد فقال:

" لقد أذن المؤذن أيها الشعب، البدار البدار،فلآت حين هجوع ودوت فالسماوات الصرخة الكبرى، فلآت ساعة خنوع، وأزلفت السعادة يومئذ للعاملين الصادقين، وبرزت اللعنة و الهزيمة للمنافقين العابثين، و أخذت الذين ظلموا الصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين"[2]

فالشاعر هنا يستخدم أسلوبا يحاكي فيه القرآن الكريم، عمدا فكان جلال الموقف، ورهبته لا يليق به إلاّ هذا الأسلوب الموسيقي المتوازن الذي يرتبط بذاكرة الشعب و أصوله ويحل من نفسه محل القداسة"[2]

---

[1] عبد المالك مرتاص- ادب المقاومة الوطنية في الجزائر[1830-1962] مرصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري- سلسلة

منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية. ص493

[2] محمد عيسى و موسى- مفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية.ص104

✓ المطلب الثاني: أهم آثار ومذكرات مفدي زكريا

أ- آثـــــــــاره:

إن مفدي زكريا غزير الإنتاج و متنوع، لم يبدع الشعر الفصيح فحسب، وإنما أبدع الشعر الشعبي أيضا، و شعره الشعبي لا يقل روعة و إبداعا عن شعره الفصيح، ولاسيما في قصائده العاطفية و الثورية، و إلى جانب الشعر تنوعت اهتماماته الأدبية و الفكرية، فكتب المقال لمختلف ألوانه وأشكاله النقدي و الاجتماعي و السياسي وكتب التمثيلية و الرواية و القصة وترك العديد من المحاضرات و الأحاديث الصحفية و الإذاعية.[1]

و ألف البحث الأدبي و التاريخي، و جمع القاموس و الدليل و المذكرات و الذي يبدر في أذهاننا،

أين كل هذا النجاح؟

لماذا لم ينشر ليستفيد منه القراء، وقد مضت على وفاة الشاعر أكثر من اثنين و ثلاثين سنة، ومن

الآثار الأدبية التي تحدث عنها مفدي:

- تاريخ الأدب العربي عبر القرون
- تاريخ الصحافة الجزائرية
- تاريخ الفلكلور العربي
- أضواء على وادي الميزاب "دراسة تاريخية"
- نحو مجتمع أفضل
- سبع سنوات في سجون فرنسا
- حوار المغرب العربي الكبير في معركة التحرير
- قاموس المغرب العربي الكبير و اللهجات
- العادات و التقاليد في المغرب الواحد
- الثورة الكبرى"أوبريت" في العيد "رواية

---

[1] ينظر- محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال والثورة.ص40

- مائة يوم في المشرق العربي
- عوائق انبعاث القصة العربية

يحتوي على تسع وعشرين محاضرة بالكويت وقطر عن الثورة الجزائرية وتسع أمسيات شعرية لمصر ولبنان.

ب- مذكراتـــــــه:

الصراع بين الشعر الأصيل و الشعر الدخيل

الدواوين الشعرية:

- اللهب المقدس
- انطلاقه
- من وحي الأطلس
- تحت ظلال الزيتون
- الخافق المعذب
- إليادة الجزائر

"إن هذا الحشد الهائل من الإنتاج الفكري التنوع، لم يصلنا منه للأسف الشديد سوى دواوينه المطبوعة المعروفة، اللهب المقدس تحت ظلال الزيتون، من وحي الأطلس، إليادة الجزائر أما باقي الأعمال الأخرى فإنها ما تزال متناثرة في الصحف العربية،أو في إذاعتها ولا سيما في أقطار المغرب العربي".[1]

"وكانت أمنية الشاعر يقدمها لطبع ولكن حياة الانتقال وعدم الاستقرار النفسي ة المادين وما اكتنف حياته من صراعات ومشاكل، حالت دونه وتحقيق أمنيته الغالية، تلك غير أن شعره الذي كتبه مابين"1925-1953" والذي يؤكد أن هذه الأعمال لم تزل في حاجة إلى جمع وتبويب وتصنيف، ما جاء في المقابلة التي أشرنا إليها سابقا حيث يقول:

---

[1] محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال والثورة.ص50

"وأملي أن أطبع كل هذا الإنتاج، متى تخلصت منه، مطاردة الفلاكة التي تلازم كل أدبي، ومتى تيسرت الإمكانيات المادية والزمنية".[1]

وإن حالت الظروف دون أن يحقق مفدي زكريا أمنيته تلك، فان أبناء الجزائر اليوم أساتذة وباحثي وطلاب سيحققونها بإذن الله، وقد بدأت تباشير أعمال جامعية جادة تحاول التعريف بالشاعر و بإنتاجه ورد الاعتبار ولو بشيء قليل.

وأخيرا نتمنى أن نكون حققنا ولو بشيء قليل برد الاعتبار و التحدث عن هذا الفتي الوطني الذي طالما خلد الثورة وخلد الشعب الجزائري، هذا الذي اعتمد في تأليف شعره على الرمز والبعد الديني وذلك من خلال اقتباسه من القران الكريم والحديث النبوي الشريف.

وهذا ما سنتحدث عنه في فصلنا الثاني عن الرمز والبعد الديني في مؤلفات مفدي.

---

[1] بلقاسم بن عبد الله- مفدي زكريا شاعر مجد الثورة.ص116

تمـــــهيــــــــــد:

إن الرمز و الرمزية هنا مفهومة بالمعنى الفني الضيق أي باعتبارهما طريقة في الأداء الأدبي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر و أثارتها بدلا من تقريرها أو تسميتها أو وصفها ولم تعرف الرمزية على هذا الوجه الإيحائي إلا في النصف الثاني من القرن 19م وعلى وجه هذا التحديد حين انبثق في فرنسا تيار مثالي النزعة يستهدي في أصوله الجمالية بخلاصة ما وصلت اله الفلسفة المثالية الغربية.[1]

"وخاصا بالعمل الفني وعلاقته بالواقع، كما يستلهم في خصائصه الصياغة فلسفة الخلق الأدبي عند 'أدبار' الألماني وعناصر التعبير الموسيقي وعند كافة العلماء الغرب والعرب، فحقا عرفت الآداب الأوربية في أطوارها التاريخية كما عرف الأدب العربي أنماطا مختلفة من التعبير غير المباشر يقصد فيها إلى استخلاص الأفكار عن طريق تمثيلها في شخصيات وهمية أو عرضها في قوالب وصور و أوضاع مادية"[2]

فطريقة الإيحاء بالرمز هي وسيلة إلى تقرير أو استنباط مقري خلقي أو تعليمي واصح الملامح وبالتالي تعددت الرموز بتعدد الثقافات وأصبح كل باحث أو شاعر يعبر بتلك الصور عن الرمز بالمعنى الدقيق أي من حيث هو محاولة لإثارة مناخ نفسي في ذات القارئ شبيهة بذلك الإحساس الذي أحسه الكاتب أو الشاعر وما هو الرمز وما هي الرمزية وما هو أثرهما في شعر مفدي زكريا؟

---

[1] ينظر- محمد أحمد فتوح- الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر- دار المعارف مصر.ص1

[2] نفس المرجع

➢ المبــحث الأول:

✓ المطلب الأول: ماهية الرمز لغة

ورد في لسان العرب ابن منظور في الأصل "الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم وباللفظ من غير إبانة الصوت وإنما هو إشارة بالشفتين" "وقيل الرمزية إشارة وإيماء بالعينين، والحاجبين، والفم والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه بيد

أو بعين. ورمز يرمز كما جاء في قوله تعالى:"...واتيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا.."[1] أي إيماء فقط، ويقال لها الغمازة بعينها لمازة أي ترمز بفمها وتغمز بعينها، وقال الافطال في الرمازة من النساء:

أحاديث سداها ابن حدراء مرمز ورمازة مالت لمن يستميلها

و الرمز في اللغة هو الحزم[2]

✓ المطلب الثاني: ماهية الرمز اصطلاحــــا

نادرا ما نجد مصطلحا كهذا تعرض لكثير من الاضطرابات و التناقضات، و العمومية في فهمه، ونجد أن *ارسطو* أقدم من تناول الرمز،وعنده أن الكلمات رموز لمعاني الأشياء، أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولا ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس، ويقول "الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، و الكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة"[3]

فهي عند أرسطو مجرد إشارات باعتباره إشارة مطلقة أما *وبستر* فيحدد الرمز بأنه " ما يفي أو ما يؤدي إلى شيء عن طريق علاقة بينهما كمجرد الاقتران، أو الاصطلاح، أو التشابه العارض الغير المقصود". وما يعنيه *وبستر* هنا أن ينبني الرمز على علاقة باطنية وثيقة تربطه بالرمز

[1] ابن منظور- لسان العرب.المجلد الثاني عشر. بيروت لبنان.ص ص (222-223)

[2] القرآن الكريم-سورة آل عمران. الآية 41

[3] ينظر- محمد أحمد فتوح- الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر- دار المعارف مصر ط3. ص351

وهي عنده علاقة أعمق من مجرد التداعي، أو الإصلاح، أو التشابه الظاهري.[1]

"لذلك يعقب الناقد الأمريكي *وليع بورك تندال* على رأي وبستر السابق هذا بأنه أكثر عمومية ووضوحا من أن يلائم أدوات المتخصص، في حين نجد أن *ريتشارد و اوجدان* يفرقان بين الاستعمال الرمزي و الاستعمال الانفعالي، إذ يعني أن الاستعمال الرمزي تقرير القضايا،أي تسجيل الإشارات، وتنظيمها، وتوصيلها إلى الغير، في حين أن الاستعمال الانفعالي، هو استعمال الكلمات بقصد التعبير عن الإحساسات والمشاعر والمواقف العاطفية"[2]

ونجد أن *فرويد* الذي يقول:" إن الرمز نتاج الخيال اللاشعور ي" ويقول أيضا قمة الرمز بمدى دلالته على الرغبات المكبوتة في اللاشعور، نتيجة الرقابة الاجتماعية الأخلاقية"[3]

وهنا *فرويد* يحدد الرمز كنتيجة الرقابة للضغوطات الاجتماعية والأخلاقية التي يمارسها المحيط على الفرد، وأن الرمز نتاج الخيال اللاشعور ي، ولو ذهبنا إلى *بنيه* الذي كتب سنة 1902 م مقررا أن الرمز "صورة تمثل فكرة".

لأننا نعلم أن العلاقة بين الصورة والرمز غير مضطردة، فقد يكون لكل رمز صورة، ولكن هذا لا يعني أن كل صورة تصبح رمزا بالضرورة.[4]

"وكان اجتماع الجمعية الفلسفية متفقة على تحديد الرمز على انه شيء حسي معتبرة كإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تخت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على مشابهة بين شيئين أحست بها مخيلة الرامز"[5]

وعلى هذا أصبح الرمز يميز شيئين أو أمرين، انه يستلزم مستويين، مستوى الأشياء الحسية أو الصورة الحسية التي هي قالبا للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز أليها، وحين يندرج

---

[1] ينظر- محمد احمد فتوح-الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر-دار المعارف مصر الطبعة الثالثة.ص351

[2] نفس المرجع.ص35

[3] نفس المرجع الابق

[4] نفس المرجع السابق

[5] نفس المرجع.ص121

هذين المستويين في الإبداع نحصل على الرمز.[1]

أما الرمز عند العالم *هانز سانكس* يخرج عن حدود الموضوعية و اليقينية العلمية التي تكشف الرمز العلمي أنه هنا الرمز الاستطيقي الذي ينبثق، ويعود إلى انطباعات ذاتية وأحوال وحدانية، ويقول هو الرمز: يكشف في مجالات الإبداع الفني[2]

"كما عرفه *بشرفارس* : الرمز هو أسلوب صوري يرتكز فيه الشاعر على الواقع، لينطلق منه بعد ذلك إلى فوق الواقع"[3]

أما بالنسبة للرمز في نظر جماعة الديوان فيعرفون الرمزية على إنها نزعة لا تريد للشاعر إلا أن يتحدث للناس من وراء السحاب، أو ملفوظ في مثل الضباب، ولا يتطلب منه إلا كلاما مبهما ولذيذا شبيها بالموسيقى..."[4]

وهذا فهم غانم للرمزية يقف منها عند حد التعبير اللفظي، أو الكلام المبهم اللذيذ، ويعرفه محمد غيبي هلال قائلا:" الرمز معناه الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة، التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية"[5]

ويضيف:"الرمز هو صلة بين الذات والأشياء بحيث تولد المشاعر عن طريق الإشارة الفنية لا عن طريق التسمية والتصريح"[6]

---

[1] محمد احمد فتوح-الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر-دار المعارف مصر الطبعة الثالثة.ص125

[2] ينظر- محمد عيسى هلال- الأدب المقارن-مصر للطباعة و النشر والتوزيع.ص210

[3] نفس المرجع

[4] نفس المرجع

[5] نفس المرجع

[6] نفس المرجع

➢ المبحث الثاني:

✓ المطلب الأول: مفهوم الأسطورة عند مفدي زكريا

لقد قلنا أن الشاعر مفدي زكريا اعتمد في إلياذته على الأساطير وعلى الرموز الدينية بشكل كثير وفي هذا الصدد يمكننا طرح سؤال، ما هي صلة الملحمة بالدين الوثنية و العقيدة الإسلامية؟

فالأسطورة بمفهومها القديم تصير عند مفدي زكريا مقاربة لمفهوم المعجزة الذي هو مفهوم ديني، فالمعجزة و الإعجاز بمفهوميهما الديني هي تجاوز كل ما هو سائد، ويتجاوز القدرة البشرية"[1]

يقول يحيى الشيخ صالح انفق في تحقيق عنصر الخوارق في إلياذته لأن الشاعر التزم بحقائق التاريخ واعتمد عنصر المعجزات بدل الأساطير، فالمعجزة وظفها في شعره من الجانب الديني اي مأخوذة من القاموس الديني إذ نجده يقول في المقطع الأول:

جزائر يا مطلع المعجزات   وياحجة الله في الكائنات[2]

فالمعجزة التي حققتها الجزائر هي كسر شوكة الاستعمار وهي كذلك من المعجزات التي عرفها الشعب خلال تاريخه النضالي.

"فالشعر هنا كذلك يوجه عتابا إلى إخواننا المشارقة الذين تجاهلوها ولم يكتبوا عنها حيث يقول:

فكم حسدونا على مجدنـــــا   وجاروا على البلد الطيب

وكم بالجزائر من معجزات   وإن جحدوها ولم تكتــب

فتجاهل هته المعجزات ناتج عن مركب نقص في التشبث بريادة مزعومة، أو هو إحدى تجليات الخوف على فقدان مكانة قرر التاريخ أن يسلمها لأهلها الشرعيين.[3]

وخلاصة القول أن المعجزة الجزائرية هي رد الهجومات المذكورة و المحافظة على جوهرها وشخصيتها.

---

[1] ينظر- محمد عيسى وموسى- كلمات لمفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية.ص ص(82-83)

[2] إلياذة الجزائر-مفدي زكريا.ص

[3] محمد عيسى وموسى- كلمات لمفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية.ص84

ويعتبر أول نوفمبر أهم أعمال هذا الشعب المناضل، حيث يعتبر عمل جليل في حياة شعبنا الجزائري فيتحول بدوره إلى رمز مفجر للإبداع الحضاري حيث يقول مفدي زكريا:

نوفمبر جلا جلالك فينا   ألست الذي بث فينا اليقين[1]

فصفة الجلال في البيت لصيقة بالتراب الجزائري فالجلال هنا يقترب من مفهوم المعجزة التي تحققت على ارض الوطن الجزائري.

✓ المطلب الثاني: تجلي أنماط التعالي النصي في مدونة إلياذة الجزائر

إن عنوان إلياذة الجزائر يثير فينا نوعا من التساؤل إما تحمله كلمة إلياذة من دلالات و يحيلنا على الأنماط التي جاء بها جيرار جينات ضمن تعاليه النصي.

لماذا اختار مفدي زكريا هذا العنوان تحديدا إلياذة الجزائر؟

هل أنها تحاكي الإلياذة كجنس وتحديدا إلياذة هوميروس؟ أم أنها تعارضها؟

إن كلمة إلياذة كعنوان تعد كعتبة أولى متمظهرة في المناص الخارجي تحيلنا على مفهوم الملحمة والتي هي فن أدبي يكون قصيدة سردية بطولية خارقة للمؤلوف تعتمد بدءا مخيلة اغرائية يخلقها عالما أوسع وأكبر من العالم المعروف.[2]

فهذه الكلمة"إلياذة" تحيلنا على تاريخ عريق لما يتجلى في الإلياذة اليونانية تحديدا إلياذة هوميروس التي دارت أحداثها حول حرب طروادة تلك الحادثة الواقعية الملفوفة في لباس الأسطورة والخيال وهذا ما يقال عنه الملحمة البدائية أو الصنيعة أي من صنع الإنسان الأول.[3]

ومن هنا نجد أن الإلياذة حملت الخرافة في طياتها ومع ذلك لا تنفي وجود الواقعية"ومما لاشك فيه أن كل الأسطورة ملحمية تتضمن في جذورها بذرة تاريخية حقيقية يطلق إليها الشعراء ما يحلو لهم".[4]

---

(1) محمد عيسى وموسى- كلمات لمفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية.ص84

(2) جبور عبد النور-المعجم الأدبي ط 2 يناير 1984 –دار العالم الملايين بيروت لبنان.ص264

(3) المرجع نفسه

(4) المرجع نفسه

ومن ثم دارت الإلياذة حول الخرافة وأبطال الأسطورة أمثال هوميروس، فرجيل، والشهامنة الفارسية..الخ .على عكس الملحمة الحديثة التي تتناول بطلا واحدا وهي أقرب في الواقع منه إلى الخيال وهذا ما جسده تقريبا مفدي زكريا، في المقابل لا وجود للمناص الداخلي ولا توجد أي عقبة دالة كالمقدمة أو العنوان الفرعي...الخ.[1]

لقد تشكلت معمارية النص هنا في اختيار مفدي زكريا لهذه اللفظة تحديدا وتحمل بعدا مرجعيا فيه تكثيف وتركيز للمعنى فتجسدت إلياذة هوميروس من خلال الجنس الأدبي من جهة لأن الإلياذة كما ذكرت تحمل سردا للوقائع الخارقة للعادة والبطولات العظيمة، فكانت نشأتها على يد شاعر اليونان هوميروس وبعده الروماني فرجيل في إلياذته وكذلك أنشودة رولان الفرنسية والمهزلة الإلهية الإيطالية، الجنة الضائعة الإنجليزية...الخ[2]

وعليه فالإلياذة تندرج فيها سيمى الشعر القصصي الموضوعي ومن خلال النقد الموجه إليها إلياذته وجودا مستقلا تماما عن مؤلفيها يقول جوليان نبدا:"ارثا للإنسانية كلها لها وجودها الخاص المستقل تماما عن وجود مؤلفيها".[3]

أما مفدي زكريا فقد كان أكثر ذاتية وهذه ميزة عربية متأصلة في هذا الشاعر العربي بصفة عامة من خلال اتسام الشعر العربي وهو ديوان العرب بالغنائية وعليه فشعر مفدي زكريا شعر غنائي وجداني لأنه في إلياذته كانت نفسه هي التي تغني وتفجرها بداخلها في انفعال وتأثر فالشعر الغنائي يعني بالموضوعات الشخصية والعامة التي تشمل حياة الإنسان والعالمين المحسوس وغير المحسوس اللذين ينطلقان من الإنسان وهمومه وآماله وأفراحه وكل شيء يحتاج إليه:[4]

---

[1] جبور عبد النور-المعجم الأدبي.ص264

[2] المرجع نفسه

[3] المرجع نفسه

[4] المرجع نفسه

وأول دليل على ذلك قد يواجهنا من خلال اللازمة:

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر [1]

فقد استعملنا في كل مقطع من إلياذته للفصل بين المقاطع وهي ملأ الدنيا بهذا الشعر الذي أصبح يعم البلاد وأصبح وكأنه يرتل مثل الصلاة التي فرضها الدين الإسلامي و تسابيحه من حنايا الجزائر أي يعبر هذا الشعر الذي عبر عن روح الشعب الجزائري وآماله وطموحاته.

---

[1] إلياذة الجزائر-مفدي زكري.ص17

➢ المبحث الثالث:

✓ المطلب الأول: هوية الإلياذة

إن آية قراءة الإلياذة مهما كان المستوى الذي يتحرك فيه فإنها تستمر حتما عبر طريق كثافة الرموز وتنوعها، وخاصة المتعلق منها بتاريخ الجزائر، وحضارتها في الدرجة الأولى ثم التراث العربي الإسلامي فالتراث الإنساني، وتوظيف التراث بهذه الصيغة تأكيد على الهوية وإصرار على الانتماء، وتتشكل بنية الإلياذة وفق سلسلة من التحولات التي تحدثها هذه الرموز وتبنى حسب ثقافة هذا الرمز وطرائق استعماله.

فنجد الرموز الثقافية موزعة على كافة أجزاء الإلياذة، وهذه الرموز في مجموعها تشكل البنية الثقافية بين الأشخاص في سياق حضاري مبين، ونجد الكثير من الشعراء الذين نظموا أشعارهم في إلياذة مثل المتنبي، وابن الأثير، *وبدر شاكر السياب* وغيرهم.ولكن ما يهمنا اليوم الحديث عنه هو الشاعر مفدي زكريا من خلال إيمانه بالشعر وتوظيفه للرموز الدينية من خلال إلياذته الشهيرة" إلياذته الجزائر"

فقد ذكر شاعر الثورة *مفدي* عدة دواوين لكتب في مواضيع مختلفة من الإلياذة مثل قدس اللهيب الذي هو عنوان ديوان الشاعر" اللهب المقدس" ويمكن استشفاف لغة المقدس التي تنم عن إيمانه بوطنه وقضاياه، وقد أنى القدسيين *أاوغسطيس* و *أبولوس* بمساحة شعرية هامة تقدير للجهود التي قام بها في المجال الثقافي وتخليدهما لمأثر الجزائر الوطن الغالي.[1]

وفي صدد هذا يقول:

وهذا أغستنــــــــــــس افات حيز-عبر الزمان-الفهومــا

وأسقف "بونة" أصبح قد يس قرطاج منذ بث فيها العلوما

وكان أعستنس فخر البلاد وكان بها الفيلسوف العظيمــــــا[2]

---

(1) شبكة التعابير العربية3 arabia@google.guoups.com

(3) إلياذة الجزائر- مفدي زكريا.ص

وهذه الاعترافات التي يشير إليها هي عنوان أهم كتب *اليس أغسطيس* والتي ترجمت من اللاتينية إلى اللغات الأوربية، كما أخص مساحة *لأبلوس* وكما أدى واجب الاعتراف لكل من ابن خلدون و*ابن باديس* و كل الرموز الثقافية و التاريخية.

✓ المطلب الثاني: توظيف الرموز الدينية في نماذج لمفدي زكريا

لقد وظف *مفدي* زكريا كثيرا من الرموز الدينية والثقافية بكل ثقلها وما تحمله من شحنة حضارية هو دلالة على الاعتزاز بالانتماء لهذه الرموز ومن جهة ثانية حاول الشاعر أن يجعل من نفسه رمزا ثقافيا يشكل مع مجموعة من الرموز الأخرى للفضاء الحضاري والذي تكونت فيه الهوية الحضارية والذي تكونت فيه الهوية الحضارية الجزائرية فيقول:

فخلد قدس اللهيب بياني وأذكى لهيب الجزائر فكري[1]

وهنا يتمفصل الرمز الثقافي على مستويين،الأول هو الإحالة إلى ديوان الشاعر الرسوم"اللهب المقدس" الذي يعتبر إنتاجا ثقافيا ورمزا من رموز الهوية الجزائرية، لأنه يؤرخ لفترة محددة من تاريخ هذا الشعب، والمستوى الثاني هو شكل الرمز فهو ليس سوى رمز بل هو تعبير أدبي بياني لغوي وهنا يتبين إيمان الشاعر بقدرته الإبداعية ومعاناته والتصاقه بالأفق الثقافي.

وايضا قوله في بيت آخر مستمدا من القرآن الكريم حيث يقول:

وسبح لله ما في السما وات والأرض ملء شفافــها

كأنك تضفي بها للخليل وموسى الكليم، يرتل صحفا[2]

فهذا الاقتباس القرآني تجعل من شفا (وهو جبل من جبال الجزائر) محط إعجاب وإثارة للخشوع إذ لم يجد الشاعر طريقة يصف بها الموقع غير التسبيح بحمد الله وذكر عجائب مخلوقاته.

---

[1] اليادة الجزائر.ص20

[2] نفس المرجع.ص33

هذا الاقتباس الأول نصي أي أخذ من النص القرآني كما هو دون تحريف، أما الاقتباس الثاني فهو مضمر ويفيد المضمون دون الحفظ على ترتيب عناصره اللغوية أو إيرادها كما هي، وهو ما نصادفه في البيت الثاني حيث يترجم قوله تعالى: "إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى"[3]

ووظيفته هنا تشبيه جبال شفا بالصحف التي يمكن أن يقرأ فيها كل متمعن آيات الجمال والجلال، حيث يقول:

وأخرجت الأرض أثقالها   فطار بها العلم-فوق الخيال

توفر للشعب أقـــــداره   وتكفي الجزائر ذل السـؤال[1]

فأول البيتين هو"وأخرجت الأرض أثقالها" [2]. وقد جاء في البيت الشعري مخالفا لدلالته في السياق القرآني التي تشير إلى هول الساعة حين تزلزل الأرض أثقالها أي ما بباطنها، فإنها في السياق الشعري تدل على البعث الاقتصادي حيث أخرجت الأرض الجزائرية كنوزها من معادن ومحروقات فالزلزلة هنا أحدثها الشعب الجزائري.

كما قال في مقطع آخر:

تأذن ربك صيلة قـــــــدر   وألقى الستار على ألف شهر

وقال له الشعب أمرك ربـــي   وقال له الرب أمرك أمـري[3]

فهنا الاقتباس القرآني يتمفصل داخل خطابين مختلفين الأول هو الخطاب الديني المتمثل في النص القرآني المأخوذ من سورة القدر إذ استعمل الآيات الكريمة الأولى والثانية و وظيفة الاقتباس هنا هي المشابهة بين ليلة الفاتح نوفمبر 1954 وليلة القدر كما وصفها في القرآن الكريم وبالتالي تصبح المشابهة ضئيلة إلى حد الإدماج بين الليلتين، لأن ليلة الفاتح من نوفمبر جاءت لتمحو غبنة ألف شهر و شهر حيث يقول.

---

[1] إليادة الجزائر- مفدي زكريا.ص38

[2] سورة الزلزال-الآية 2

[3] إليادة الجزائر- مفدي زكريا.ص53

✓ **المطلب الثالث:** التناص الديني عند مفدي زكريا

أ- من القرآن الكريم : يعتبر الشاعر كغيره من الأجناس الأدبية محصلة نصوص أخرى قديمة كانت أو حديثة، كون أن المبدع لا يحقق إنتاجية ناضجة إلا من خلال تردده على تراثه وتاريخه. فالنصوص الحديثة على نتاج تراكمات مختلفة لدى المبدع.

لما دخل التناص حيز النص المقدس سواء بشكل كلي أو جزئي نلاحظ تداخل النص الغائب مع الحاضر واسع جدا، فديوان إلياذة الجزائر يدخل دائرة التناص بشكل جلي وعفوي.

إن الصراع الذي كان قائما بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي والمعاناة التي ألمت بهذا البلد جعلت الشاعر يلجأ إلى توظيف تراكيب ذات فعالية وتحريك لنفوس الشعوب وكان خير سبيل هو دستور الأمة وكرامتها وحياتها الأزلية كتاب الله المقدس القرآن الكريم.فمزاوجة مفدي أبياته الشعرية بالآيات القرآنية هو قناعته الخاصة وإيمانه بأن النصر من عند الله وليؤكد للشعب ضرورة تمسكه بدينه، حيث يقول:

ويلتف ساق بساق فنصبوا   فيغمرنا ملتقى الفكر نصحا[1]

وهذا البيت تناص مع قوله تعالى" والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق" [2] فعلى مستوى البناء يكاد النص يكون نفسه لفظا ومعنى، ولقد وظفه الشاعر هنا لأنه يراه مهما استعصت عليهم الأمور وضاقت بهم الدنيا فان مرجعهم إلى الملتقى الفكري الذي هو مفتاح كل ضياع وجواب كل سؤال كما هو حال العباد إنهم م هما عملوا في الحياة الدنيا من خير أو شر فمرجعهم إلى الله.

وكثيرة هي المتناصات الدينية الواردة ومن بينها قوله:

وعرق الأصالة طهر طبيعي   ونور الهداية أذهب رجسي[3]

تناص فيه مع قوله تعالى: " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"[4]

---

(1) مفدي زكريا- اليادة الجزائر.ص24

(2) سورة القيامة الآية (29-30)

(3) مفدي زكريا- إليادة الجزائر.ص20

(4) سورة الأحزاب الآية 33

لقد أنزل الله هذه الآية في أهل البيت الذين لهم الشرف العريق والنسب العظيم والشاعر رأى أنه هو أيضا عريق النسب فتلاحم النص الأصلي مع نص الشاعر ليكون المعنى الجديد.

ب- من الحديث النبوي الشريف:

إن الحديث النبوي الشريف هو شارح القرآن الكريم وثاني منهج للمسلمين، ولهذا فالتناص معه ليس أمرا غريبا و إننا إذ نرى ذوبان الحديث النبوي في النص، هو دليل على براعة (المبدع) واستحضاره لثقافته الدينية وبعث الحركة في الملتقى حتى يستحضر هو الآخر ثقافته الإسلامية وبالرجوع إلى إلياذة مفدي زكريا، نلمس مدى ذوبان النص الغالب في النص المنتج يقول:

أتوب إليك بإلياذتـــــي عساها تكفر كل ذنوبـــــــــي

عصيتك علما بأنك تغفر على المسرفين فهانت خطوبي[1]

لقد أقر الشاعر بذنوبه وهو هو يرجو رحمة الله وعفوه ومغفرته لأن الله غفور رحيم، وهذا تناص مع نص الحديث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم". [2]

إن الله عز وجل يعلم أن عباده يذنبون، لهذا فهو يغفر لهم لأنهم لو لم يذنبوا لما كان عقاب ولما كانت التوبة إلى الله و الاستغفار له، ولما كان الشاعر على دراية بهذا فان ملاذه كان الرجوع إلى الله و الاستغفار له، ولما كان الشاعر على دراية بهذا فان الله واسع برحمته التي وسعت كل شيء. هكذا كان التناص الديني في أشعار مفدي زكريا بارزا بروزا الشمس في كبد السماء فطفت على جل أبياته، لتزيد من عمق الخطاب وحيويته ألفاظه، فتنوع الدلالات هو منصب في دلالة أكبر وهي الغضب والأمل معا.

---

[1] مفدي زكريا – إلياذة الجزائرص98

[2] مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري ط2 دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 1422هـ 2001. ص719

وخلاصة القول أن الشاعر مفدي زكريا هو الذي خلد بلاده وهذا التخليد لذاته كفرد داخل البلاد، فهو يرى أن الشعر وظيفة وليس غاية في حد ذاتها ينبع من الظرف التاريخي الذي تكونت فيه ثقافة الشاعر حيث كان شعره آدات من أدوات النضال وليس ترفا وبذخا، وهذا كله من خلال الرموز الدينية والثقافية والتاريخية التي استعملها في شعره لاجئا في ذلك إلى قوله الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن خلال كل ما سبق سنتطرق في الفصل الموالي إلى بيان كيفية استعماله للتناص من القرآن الكريم في بعض المقاطع من الإلياذة والى معرفة مضمونها وما تميل إليه.

تمهيد:

إن أي دراسة لإلياذة الجزائر لمن شأنها أن ترسخ حب الوطن في نفوس شبابنا وان تعزز ارتباطهم بما في شعبهم المجيد، وتشعرهم بمسؤولياتهم اتجاه الوطن والثورة علاوة على أنها كفيلة بتنمية الذوق الأدبي لديهم، واستحسان الأساليب والأغراض الشعرية التي تتضمنها.

ومن جهة أخرى ألح على ضرورة تحفيظ أبيات ومقتطفات من الإلياذة حسب الأطوار التعليمية، تثبيتا للمسيرة التاريخية لشعبنا وإثراء للمكتسبات الأدبية واللغوية للتلاميذ، كما ألح على أن تصبح إلياذة الجزائر منبع الهام تختلف النشاطات الثقافية من مسرحيات وعروض شعرية ولوحات فنية.

وفي هذا الفصل نود تحليل بعض المقاطع تحليلا دلاليا من الإلياذة لكي نبين الطريقة التي اتبعها الشاعر مفدي زكريا من خلال نسجه لأبيات ومقاطع الإلياذة والتركيز خاصة على الرموز والأبعاد الدينية التي كان متمسك بها كثيرا، والذي شغل وقود الثورة حتى خفقت راية الحرية فوق ربوع الوطن.

➢ المبـحث الأول:

✓ المطلب الأول: فضاء الإليــــــاذة

"هي محاولة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر والتركي ز على أهم المحطات التاريخية قصد إجلاء أهم دلالاتها،وأهم بطل فيها هو ليس إلاها وثنيا أو بطلا أسطوريا جاء ليخلصها من كل محنة وجدت فيها، ولكنها عبقرية الشعب الجزائري، ودأبه على صنع تاريخه بنفسه، وهذا لا ينفي طبعا الرجال التاريخيين الذين صنعوا هذا التاريخ". [1]

✓ المطلب الثاني: زمن الإليــــــاذة

أما زمن الإلياذة فيمتد من فجر التاريخ البشري إلى نهاية سبعينيات هذا القرن، وفضاؤها هو هذه الرقعة الجغرافية (الجزائر) التي شهدت هذه الأحداث والتي هي سلسلة من التحولات الناجمة عن مجموعة الأعمال التي قام بها أبطال هذا الشعب ومساهماتهم في العطاء الحضاري وهو العطاء الثوري المستمر ومحاولة التحرر من قبضة الاستعمار. [2]

وقد حدد مولود قاسم، فضاء الإلياذة بقوله هي" أجمل وأكمل صياغة لتاريخها وآلامها وآمالها بانتكاساتها وانتصاراتها كما هي وظيفة التاريخ لأية أمة من الأمم، فتتكون من مئة مقطع يتكون كل مقطع من عشرة أبيات، عدا المقطع الثالث والتسعون (93) الذي يتكون من أحد عشر(11) مقطعا.

والبيت الحادي عشر يعتبر بمثابة سجدة الشهر ليعبر عن قداسة ملتقى الفكر الإسلامي الذي انعقد بالجزائر"[3]

والذي يعتبر المحرك الأساسي لكتابة إلياذة الجزائر، وبذالك تبلغ الإلياذة ألف بيت وبيت وهذا الرقم الذي يعتبر الرقم القياسي في حد ذاته، له دلالات تراثية تعبر عن انتهاء حضاري وثقافي معين.

---

(1) محمد عيسى وموسى-كلمات مفدي زكريا- ذاكرة الصحافة الوطنية- الجزائر 2003.ص80

(2) المرجع نفسه

(3) المرجع نفسه

✓ المطلب الثالث: اللازمـــــــــــة

أما بالنسبة للازمة التي ذكرها الشاعر مفدي زكريا في كل مقطع فهي تقوم بوظيفة بنيوية أساسية حيث تقوم بفصل مقطع عن مقطع آخر وتنبه عن انتهاء المقطع للبدء في آخر جديد، حيث يقول مفدي زكريا:

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله عل كالملاة

تسابيحه من حنا الجزائر [1]

هذه اللازمة هي بمثابة نشيد يذهب أو ينتقل إلى أبعد نقطة ممكنة في الأرض وعلى حد تعبير "بروت" إبعاد الشرير الذي يعترض البطل، والذي هذا الأخير يخرج منتصرا(الجزائر) ويتخطى كل العقبات فنجده يقول:

بلادي، بلادي، الأمان، الأمان اغني علاك بأي إنسان

بلاك تقتصر عنه اللغي ويعجز فيك سحر البيان

إليك صلاتي وأزكي سلامي بلادي، بلادي، الأمان، الأمان[2]

هذه الأبيات من الإلياذة هي الأخرى تمجد الجزائر وتقدم لها كل علامات التقدير والإعجاب بعودته مظفرا منتصرا ويبقى أمام هذا الشاعر الفناء ونشر أمجاد هذا البطل لمفدي زكريا وعي بما قام به من مشروع خاصة عندما أطلق كلمة "إلياذة" أو إحدى قرائنها أو عناصرها المكونة لها.

---

[1] محمد عيسى وموسى-كلمات مفدي زكريا- ذاكرة الصحافة الوطنية- الجزائر 2003.ص80

[2] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص102

➢ المبحث الثاني:

✓ المطلب الأول: مضمون إلياذة الجزائر عند مفدي زكريا

إن إلياذة الجزائر تمتاز عن غيرها بكونها وصفا لحقائق، وتسجيلا لوقائع، مع التحذير من مغبات وقعت فيها أمم في قمة التقدم ونحن في أولى درجات السلم من جديد [1]

حيث أن اطلاع مفدي واسع على التراث الإنساني فيقول:

وقالوا انحرفت بإلياذتــــــي	تلوم الشباب ومثلك يعلــــــو
هو ميسور أرخ لم ينتقــــــد	وشهنامة الفرس بالوصف تغلو
فقلب وشعر الخرافات يفنــى	وشعر البطولات لا يضمـحل [2]

فمن خلال هته الأبيات يتبين الشاعر وعي واطلاع بالجنس الشعري عند الإغريق والفرس (إلياذة هوميروس، وشهنامة الفرس)، فيعبر عن مضمون الإلياذة الإغريقية والفارسية بمضمون أسطوري وخرافي، في حين أن مضمون (إلياذة الجزائر) مضمون بطولي تاريخي ووظيفة الإلياذة تتمثل في تثبيت لحظات لا يجب أن تفلت من الذاكرة.

وبتعبير آخر هي شكل من أشكال إنتاج التاريخ ورفض مفدي زكريا لمقاييس الإلياذة بمفهومها القديم حيث تنتمي إلياذته هذه لنموذج ثقافي وحضاري هو النموذج الإغريقي والفارسي. [3]

✓ المطلب الثاني: تحليل بعض المقاطع تحليلا دلاليا من الإلياذة

- **المقطع الأول:**

جزائر يا مطلع المعجــزات	ويا حجة الله في الكائنـــات
ويا بسمة الرب في أرضـــه	ويا وجهه الضاحك القسمات
ويا لوحة في سجل الخـــلو	تموج بها الصور الحالمــات

---

[1] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص100

[2] محمد عيسى وموسى- كلمات لمفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية-الجزائر-2003.ص(80-81)

[3] نفس المرجع السابق

ويا قصة بث فيها الوجـــود	معا في السمو بروع الحيـــة
ويا صفحة خط فيها البقــــا	بنا ونور جهاد الآبــــــــاه
وبالبطولات تغزو الدنـــــا	وتلهمها القيم الخـــــالدات
واسطورة رددتها القـــرون	فهاجت بأعماقنا الذكريـــات
ويا تربة تاه فيها الجـــــلال	فتاهت بها القسم الشانحـــات
والقى النهاية فيها الجمـــال	فهمنا بأسرارها الفاتنـــــات
وأهون على قديمها الزمـــان	فأهوى على قديمها الطغـــاة

اللازمة

شغلنا الورى وملأنا الدنـــى

بشعر نرتله كالصــــــــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائـــر [1]

في هذا المقطع استعمل أسلوب النداء بكثرة، وهو يخاطب الجزائر أرض الوطن باستعماله لحرف النداء"يا" ، بأنها بلد المعجزات وشبهها بصفحة ورقية، خطا فيها التاريخ، فمفدي زكريا في البيت السابع ممزوج بين الأسطورة والغناء.

وهذا شيء جعل من هذا المقطع بؤرة فنية راقية، فبالإضافـ ة إلى التكثيف في التعبير والاقتصاد في اللغة، استطاع الشاعر أن يفتح أمام المتلقي، فضاء شعريا رحبا، إذ ينتقل من الأسطورة إلى التاريخ ليصل إلى رموز الثقافة، وتربط بين هذه الأبعاد شبكة تتمثل في أسطورة رددتها القرون وبقيت في الذاكرة، وربط الأسطورة بالبعد التاريخي والحضاري. كما مجد الجزائر وربطها بأصولها العقدية، حيث ربط نص الإلياذة بمجموع الموروث الشعري العربي.فقارئ هذه الأبيات يخرج بفكرة هي طغيان الكلمات الدينية التي تدل على عقيدة الشاعر وتوبته وعلى مخاطبة هذا البلد"الجزائر"، والمعجزة التي حققها والتي هي كسر شوكة الاستعمار الغاشم

---

[1] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص35

كما ذكر الله سبحانه وتعالى على أنه القادر وخالق الكون بجماله وفنونه وكائناته.

فمن خلال هذه المقاطع الشعرية خلد الشاعر بلاده، ربط التاريخ الجزائري بالتاريخ الإنساني وبلاد الشاعر هي مصدر الإلهام، أي المحبوبة التي تفانى في عشقها وعانى في سبيلها بالإضافة إلى كونها مصدر التجربة الشعرية، والملحمة بالإلياذة هي البؤرة التي فجرت الغناء بأمجاد الجزائر فإذا حدث أن جحد حب الشاعر فعزاءه أنه تفانى في حب الجزائر،وغنى لإنهزامتها وانتصاراتها فالشعر هنا في مفهوم الشاعر هو وظيفة وليس غاية، بل هو أداة تطهير وإخراج التجربة الشعرية من الداخل وعرضها على الآخرين وسرد تفاصيلها وخطواتها وحتى الصعوبات التي تلقاها فالتجربة الشعرية كتبت بالدم لأنها تجربة مرت وهي تراجيديا العالم.

- **المقطع الثاني:**

تأذن ربك ليلة القـــــــــــدر وألقى الستار على ألف شـــــــهر

وقال له الشعب أمرك ربــــــي! وقال له الرب، أمرك أمــــــري!!

ودان القصاص فرنسا العــــجوز بما اجترحت من خداع ومـــــكر

ولعل صوت الرصاص يـــدوي فعاف اليراع خرافات حـــــبر!!

وتأبى المدافع صوغ الكــــــلام إذ لم يكن من شواظ وجـــــــمر!

وتأبى القنابل طبع الحــــــروف فإذا لم يكن من شواظ وجـــــمر!

وتأبى الصحائف نشر الصحائف فإذا لم تكن من سبائك حـــــــمر

ويأبى الحديد استماع الحـــديث ما لم تكن بالقرارات تســــــري!

نوفمبر غيرت مجرى الحيـــــاة إذا لم يكن من روائع شعــــــري

وذكرتنا في الجزائر بـــــــدرا وكنت نوفمبر مطلع فـــــــــجر

شغلنا الورى وملأنا الدنــــــــــا

بشعر نرتله كالصــــــــــــــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائـــــر [1]

---

[1] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص55

استعمل الشاعر ليلة القدر و يقصد بها هنا ليلة الفاتح نوفمبر 1954 التي اندلع فيها الكفاح التحريري المسلح، هذه الحلقة الجديدة من سلسلة طويلة من الثورات على الاستعمار والاحتلال الأجنبي، منذ ماسينيسا ويوغرطة حتى استرجاع الاستقلال في 05 جويلية 1962م.

أما الاقتباس في هذه الأبيات يتمفصل داخل خطابين مختلفين، الأول هو الخطاب الديني المتمثل في النص القرآني المأخوذ من سورة القدر، إذ استعمل الآيات الكريمة الأولى والثالثة، وظيفة الاقتباس في هذه الأبيات هي المشابهة كما قلنا سابقا، بين ليلة أول نوفمبر وليلة القدر، جاء وصفها في القرآن الكريم.

إن المشابهة تصبح ضئيلة إلى حد الإدماج بين الليلتين، لأن أول نوفمبر جاء لتمحو ألف شهر من الذل والاحتقار والتعذيب، الذي أمس الشعب الجزائري، وهي التي أثارت للجزائريين درب الحرية والخلاص من نير المستعمر الغاشم.

أما الاقتباس الثاني فانه يتمفصل داخل خطاب شعري، وهو قصيدة فتح عمورية لأبي تمام ووظيفته، هذا الاقتباس يعود إلى المشابهة بين الموقفين وهي التردد بين القرارات السياسية وحسم الموقف عسكريا، باتخاذ قرارات ثورية شجاعة، والبيت الثالث لمفدي في هذه القصيدة المثبت سابقا يعيد إنتاج بيت أبي تمام " بيت الصفائح لأسود الصفائح".

إن هذا الاقتباس ليس على مستوى المعنى فحسب، ولكن أيضا باستعمال طريقة التقابل الموجودة بين الصفائح والصحائف، مع المحافظة على ترتيبها، أي وضع الصفائح" السيوف العرضة" في المرتبة الأولى للدلالة على أهميتها وذلك حسب القواعد البلاغية، وبعد ذلك جاء بكلمة الصحائف" الأوراق" للتقليل من أهميتها.

الجملة الثانية في البيت الشعري عنده ما لم تكن بالقرارات تسري، فإنها لا تفيد دلالة إضافية على ما جاء في شعر أبي تمام، بل هي تلخيص لما جاء فيها، واستخلاص لموقف شعري شامل تبناه أبو تمام في قصيدته المذكورة.

وهكذا فمفدي زكريا لا يأخذ من أشعار الآخرين فقط، ولكنه أيضا يأخذ من أشعاره وخاصة من ديوانه " اللهب المقدس"، وتتجاوزه الآن فضاءها أوسع من فضاء اللهب المقدس،الذي

يبدو محدودا في الزمان والمكان، في حين أن هذه الأبيات من الإلياذة تحاول القبض على نبض التاريخ وتتبع مساراته الموغلة في القدم والشعب.

وهناك بيت آخر يقول فيه الشاعر مفدي زكريا:

فيا رب ما حيلتي من الهواء وفيك؟ إن ألم تكفر ذنوبي[1]

ومن خلال هذا البيت يستغفر ربه ليأتي بعد ذلك اللازمة التي ذكرنا ها سابقا فهي التكفير عن خطاه وكأن الإلياذة في وجهها الآخر

مفدي زكريا يقول:

وديري الذي كنت أتلو به صلاتي مع الليل سرا وجهرا[2]

فهو لايتوانى في تبيان أنه والإلياذة واحدة.

وأكثر التناص مع القرآن الكريم فيقول:

كأنك تصغي بها للخليل وموسى الكليم يرتل صحفا[3]

هنا إشارة إلى قوله تعالى:"إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى"[4]

وبذلك أخذ التوفيق للنص القرآني المشابهة إلى حد بعيد ونلاحظ كما وظف مفدي زكريا تناصا آخر إلى جانب الحديث النبوي الشريف والقرآن الكريم الأسطورة رمز لها من خلال النبي نوح عليه السلام، يقول:ومن قصة المجد من عهد نوح وهل ارم هي ذات العماد[5]

هذه الأسطورة التي كانت معتقدا سائدا في مختلف الديانات حيث وردت قصص مشابهة في أساطير بلاد الرافدين وغيرها.

وكان محور هذه الأسطورة قصة إنقاذ البشرية بالطوفان الذي أرسل للجبابرة. فوجه التناص هنا أن الثورة هي عقاب للمستعمر وتصفية له، وهكذا استطاع الشاعر مفدي زكريا منح إلياذة الخلود كخلود الأساطير في الذاكرة العلمية.

---

[1] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص55

[2] ينظر-المرجع نفسه

[3] المرجع نفسه

[4] سورة الأعلى-الآية (18-19)

[5] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص35

- **المقطع الثالث:**

جزائر يا بدعة الفاطر ويا بابـل	ويا روعة الصانع القـــــــادر
السحر من وحيـــــــــــــها	تلقب هارون بالساحـــــــــر
ويا جنة غار منها الجنـــــــان	وأشغله الغيب بالحاضـــــــر
ويا لجة ليستحم الجمـــــــــال	ويسبح في موجها الكافـــــر [1]

هنا اقتباس من القرآن الكريم في البيت الأول في قوله"القادر" يرمز إلى الله سبحانه وتعالى، فالقادر من أسماء الله الحسنى في كونه القادر على كل شيء ومنها قوله تعالى" قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير". [2]

وهناك اقتباس آخر من القرآن الكريم في البيت الرابع في قوله "الكافر" بمعنى الساتر، من خلال قوله تعالى:"محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكافر رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله رضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرجه شطئه و غازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما". [3]

- **المقطع الرابع:**

فيارب قد أغرقتني ذنوبـــــــي	وأنت العليم بما في الغيـــــوب
أتوب إليك بإلياذتـــــــــــــي	عساها تكفر عن ذنوبـــــــــي
عصيتك علما بأنك تعفـــــــو	على المسرفين فهانت خطوبـــي
ولولا صفاتك رب غفـــــــور	رحيم لضاقت علي دروبـــــــي
وأكد فعل الصفات العصـــــــاة	فأكد فضلك ستر العيـــــــوب [4]

[1] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص04

[2] سورة آل عمران – الآية (28-29)

[3] سورة محمد- الآية (1-2)

[4] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص04

في البيتين الأولين هناك إشارة إلى قوله تعالى بأن الله يغفر الذنوب جميعها"والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون"[1]

أما في الأبيات الأخرى نجد كلمة عصاة، فلولا وجود "العصاة" لبطل مفعول الكثير من صفات الله الحسنى فوجود العصات التأديبيين تأكيد لسريان مفعول تلك الصفاة وهنا إشارة إلى الحديث الشريف إذا صح سنده" يا عبادي لو لم تعصوني وتستغفروني فأغفر لكم، لأهلكتكم و أبدلتكم بقوم آخرين يعصون فيستغفرون فأغفر لهم"[2]

- **المقطع الخامس:**

وتفاحة أخرجت آدمــــــــــا	من الخلد مذ لعنته السمــــــاء
ولكن حواءنا بلعتــــــــها	وبالعلج أبدلت المسلــــــــم
ولم ترض بالفحل من قومـــها	فهامت عن..ما رمى اذ زمتـى..
فسحقا لبنت تزيف جيــــــلا	وتلعن فيها الدماء الدمـــــآ..
وتغضب عيسى المسيح وتبكـي	على جذع نخلتها مريـــــــم
وتبا لمجتمع خائـــــــــر	تعيش الرجال به كالدمـــى!!!

وفي هذه الأبيات قصد من خلالها أن المسلم هنا هو المتروك ليحل محله العلج، والعلج هو غير المسلم في العهد المسمى بالتركي في الجزائر، والمسلم حديثا لأغراض معينة، وذلك في نفس العهد المذكور، ويقصد الشاعر هنا العصر الحاضر الذي بدأت تفشوا فيه عادة تزوج المسلمات بغير المسلمين وهنا في قوله تعالى:"الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين"[3]

---

[1] سورة آل عمران- الآية(133-134)

[2] إلياذة الجزائر- مفدي زكريا-المعهد التربوي.ص04

[3] سورة النور- الآية(2-3)

وفي الأبيات الأخيرة اقتباس من سورة مريم في قوله تعالى"فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تخزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي، إني نذرت للرحمان صوما فلن أكلم اليوم انسيا"[1]

---

[1] سورة مريم-الآية(22-26)

الخاتمــــــة

لكل بداية نهاية، وها قد وصل هذا البحث إلى نهايته الذي كان موضوعه أبعاد الرمز الديني التاريخي عند الشاعر مفدي زكريا، متخذين إلياذة الجزائر نموذجا مستخلصين آخر المطاف أهم النقاط في الجانبين النظري والتطبيقي، وأهم ما انطوى عليه الجانب النظري مايلي:

- نشوءه في بيئة محافظة وترعرعه في عائلة جزائرية مسلمة شعارها الدين الإسلامي وحب الوطن والجهاد في سبيله من أجل الحرية.

- سفره إلى المغرب وتونس من أجل التعلم والدراسة هذا ما دفعه إلى التمسك بالدين الإسلامي والأخلاق الفاضلة، بسبب تمدرسه على يد أساتذة، تعلم على يدهم وأخذ عنهم الإرشادات والنصائح لصالحه ولصالح وطنه منهم عبد العزيز الثعالبي، وعمه الشيخ صالح وهذا ما جعل شعره يتسم بالقوة والشاعرية.

- كان شعره موجها لأمة عربية مسلمة، إذ نجد في أشعاره رموز دينية كثيرة.

الأوضاع السياسية التي عاشها الشعب الجزائري هو ما جعل مفدي زكريا يستعمل الرمز الديني ليقوي الإيمان في قلوب الشعب الجزائر أكثر.

تعرفنا على الرمز الديني وكيفية توظيفه في أشعاره.

- تعرفنا على مفهوم الإلياذة وبينا بعض المظاهر الأدبية التي تطرق لها الشاعر كالاقتباس والتناص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

- تأثر مفدي بمعطيات الأدب الأجنبي ونذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر "إلياذة هوميروس" من الأدب الإغريقي اليوناني.

- أما الجانب التطبيقي فتناولنا بعض المقاطع من الإلياذة وحللناها تحليلا دلاليا واستخرجنا أهم الرموز الدينية المقتبسة من الآيات القرآنية، وهكذا استعمل مفدي زكريا الرموز الدينية كمولدات للمعنى والإقتباس من القرآن الكريم وهذا من أجل ربط الجزائر بأصولها العقيدية.

وعلى هذا فنحن نحث كل محب وغيور على هذا الوطن الحبيب من باحثين وأدباء ومختصين في التاريخ أن يهتموا بتراثنا الأدبي والتاريخي الأصيل فان وفقنا في بحثنا هذا فمن الله وان أخطئنا فمن أنفسنا .

رحم الله شاعرنا العظيم وأسكنه فسيح جنانه.

فهرس المحتويات

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

❖ الحديث النبوي الشريف

1/الكتب:

- مفدي زكريا-إلياذة الجزائر
- المعهد التربوي الوطني الجزائري
- الدكتور محمد ناصر –مفدي زكريا شاعر النضال والثورة-دراسة ونصوص- الطبعة الثانية-جمعية التراث" العطف" غرداية الجزائر"ت".
- بلقاسم بن عبد الله-مفدي زكريا شاعر مجد الثورة-حوارات وذكريات الطبعة الثانية-الجزائر2003
- عبد الملك مرتاض-أدب المقاومة الوطنية في الجزائر(1830-1962) مرصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري.
- سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية.
- مفدي زكريا ديوان اللهب المقدس شاعر الثورة الجزائرية-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1983.
- أحمد فتوح محمد-الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر-الطبعة الثانية-دار المعارف مصر.
- ابن منظور جمال الدين-لسان العرب المجلد الثاني عشر بيروت لبنان سنة 2000.

2/ المعاجم :

جبور عبد النور –المعجم الأدبي-الطبعة الثانية- يناير 1984 -دار العالم الملايين-بيروت لبنان.

3/ المجلات :

محمد عيسى وموسى- كلمات مفدي زكريا في ذاكرة الصحافة الوطنية الجزائر-الإيداع القانوني 66-2003

4/ الإنترنيت :

1- 3arabia@google-gu-oups.com/2009/3/168846.html

شبكة التعابير العربية